ج في فقه اللغة

أمالٍ من اللهجات العامية (١)

للأستاذ عباس محمود العقاد عضو المجمع

من أغراض المجمع دراسة اللهجات العامية فى مصر وسائر الأقطار العربية ، ونحسب أنه من أنفع أغراض المجمع فى خدمة اللغة الفصحى . لأننا نساير اللهجة العامية فى تعبيراتنا بها وتصرفنا فيها ، ونقيس عليها فنخلص من المشابهة حينا والمخالفة حينا ، إلى شىء من الأصول التى جرت عليها اللغة الفصحى فيما يقابل هذه التعبيرات أو هذه التصرفات .

ومن أمثلة ما يستفاد على هذا النحو هذه الشواهد فى مسألة الأضداد ، ومسألة الأوزان وتحولها مع الزمن من صيغة إلى صيغة قبل أن تستقر على صيغتها الأخيرة .

(١) الأضداد

كنت أتجه إلى النيل يوما ولا أعرف موعد فتح القناطر فى تلك الجهة . فلقيت جماعة مقبلين من ناحية النهر ، فسألتهم : هل الكبرى مفتوح ؟ وأجابنى اثنان منهم فى وقت واحد . قال أحدهما : نعم مفتوح . وقال الآخر : لا ، غير مفتوح .

فعجبت لأول وهلة من هذا التناقض بين شاهدى عيان فى منظر حاضر قريب ؛ حتى استوضحتهما فعلمت أن أحدهما يعنى فتح الكبرى للسير والآخر يعنى فتحه الملاحة ، فالفتح عندهما بمعنى واحد ولكن على اعتبارين مختلفين .

خطر لى بعد التأمل فى التعبير بكلمة « فتح » على الضدين أن كثيرا من الأضداد فى اللغة يمكن أن يرجع إلى مثل هذا الاختلاف فى الاعتبار أو وجهة النظر .

فيقال ناهل بمعنى ريان وناهل بمعنى ظمآن . والأصل فى ذلك أنهم يستطيعون أن يقولوا عن الذاهب إلى النهل أنه ناهل ، وعن العائد من النهل أنه ناهل ، فالنهل واحد ؛ ولكن الذاهب ظمآن والعائد ريان ، وهما من ثم ضدان .

ويقال طرب بمعنى فرح وطرب بمعنى حزن ، والأصل فى الطرب الاهتزاز ، والمرء يهتز للفرح كما يهتز للحزن ، فهو طرب فرحان وهو طرب حزين .

ويقال الجون بمعنى الأبيض والجون بمعنى الأسود ، والأصل فيهما التجوين بمعنى الطلاء . جوّن بيت العروس بالبياض ، وجون بيت

---

(١) ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة لمؤتمر المجمع فى دورته العشرين .

الميت بالسواد . فالجون أبيض والجون أسود ، وما هما بضدين فى غير هذا الاعتبار .

ويقال جلل بمعنى عظيم وجلل بمعنى صغير، ولعل الأصل فيهما أن الجليل بمعنى العظيم هو الذى يجللنا ويغطينا ، وأن الجلل بمعنى الصغير هو الذى نجلله نحن ونغطيه .

ونستطرد من ثم إلى الأضداد التى تاتى من التفاؤل ، وفى اللهجة العامية من هذا الباب يقال للمريض إنه « بعافية » . ويقال للإناء الفارغ إنه المليان ، وهكذا يقال فى اللغة الفصحى « سليم » للديغ وسليم للصحيح ، ويقال المفازة للبيداء المهلكة والمفازة التى يرجى منها الفوز والنجاة . وربما كان الأصل فى « التفويز » بمعنى الهلكة تعبيراً من هذا القبيل .

ونتوسع فى الأضداد من باب إطلاق المعنى الواحد على اعتبارين فنقيس عليها التفكه بمعنى التلذذ والتندم ، ونقيس عليها التغشمر بمعنى ركوب الباطل وركوب الحق ، ونقيس عليها المأتم بمعنى اجتماع النساء للفرح واجتماعهن للبكاء .

فبين التفكه على الاعتبارين جامعة التنقل والمراجعة والتذكر ، وكلها مما يصحب أحاديث السمر وأحاديث الندم والحسرة .

وبين التغشمر على الاعتبارين أن يركب الإنسان رأسه فى خطر أو لحاجة ، فهو محق على اعتبار ومبطل على اعتبار .

وبين المأتم فى الحزن أو الفرح اجتماع النسوة ، ثم يفترق المعنيان فيغلب أحدهما على الآخر .

(٢) الإبدال

أما الإبدال فراقبة اللهجات العامية فيه تنصف النحاة الأقدمين فى العصر الحاضر ، لأن أناسا من الباحثين العصريين يحسبونهم قد لجأوا إلى التعلل بالإبدال على سبيل التخلص والهرب من الأسباب الصحيحة التى يجهلونها فيستريحون منها بعلة الإبدال .

والواقع أن الإبدال يجرى أمامنا فى اللهجات العامية على مجراه الذى قال به النحاة الأقدمون .

ففى بعض لهجات الصعيد يأتى مصدر فعّل على وزن « فِعّيل » بكسر الفاء والعين وتضعيف العين ، فيقولون كبر كبيراً ، وزعق زعيقاً ، ودبح دبيحاً ، وكسر كسيرا ، وهو فى أوزان اللغة الفصحى التكبير والتزعيق والتذبيح والتكسير .

وليست الصيغة مقصورة على تلك اللهجة الصعيدية ، لأننا نسمعها على غير قياس فى بعض كلمات الوجه البحرى ، فيقولون مثلا « يكلم » ويقولون « تدّبر » ويقولون « يصّرف ويجنب » ... ويثبتون بذلك ، كما تثبته اللهجة الصعيدية ، أن إبدال التاء فى أحد الحروف المضعفة معهود على اللسان .

ولا نعرض هنا للشواهد الفصيحة لأننا نخص اللهجات العامية بالقياس فى هذا الحديث ، وإلا فالشواهد من القرآن الكريم تثبت لنا

هذا الإبدال فى كلمات متعددة ، مثل « يزّكى ويذّكر ويشقق » وكلها مما يسمع فيه الإبدال بالتاء ، إذ يقال يتزكى ويتذكر ويتشقق ، على القياس فى « فعل يتفعل » كما هو معلوم .

(٣) أوزان المصادر

أما أوزان المصادر فالعامة فى إقليم أسوان يأتون بالمصدر من فاعل على فاعال ، فيقولون الحساراب والحاران والخاباط والجاكار . ونسمع فى الوجه البحرى « حازاراك فازاراك » وهى قريبة من هذا الباب .

والذى لفت نظرى من هذه الكلمات كلمة « الجاكار » بمعنى المماطلة فى البيع وغيره ، فإنها من كلمات الفصحى التى لا تسمع فى عامية الأقاليم الأخرى ، وموضع الالتفات فى هذه الكلمة خاصة أن وزن « الفاعال » من المفاعلة قديم يرجع إلى الوقت الذى كانت فيه هذه الكلمة تجرى على ألسنة الفصحاء وألسنة العامة .

فهل يسوغ لنا أن نقول إن وزن « فاعال » من فاعَل خطوة سبقت وزن فِعال الذى انتهينا إليه ؟ إن فاعال أقرب إلى فاعل ، ويجوز لهذا أن تكون قد سبقت الفِعال ثم طواها الإهمال فى غير تلك اللهجة العامية ، ويرجح لنا تشابه العامية والفصحى فى هذا الوزن مادة « جكر » بمعناها الفصيح .

* * *

هذه شواهد مما يستفاد من تتبع اللهجات العامية فى خدمة الفصحى واستطلاع بعض أسرارها وأصولها ، ونرجو أن نتبعها بشواهد أقرب من قبيلها ؟

الوغى بين أهل اللغى

للمرحوم الأستاذ عبد القادر المغربى عضو المجمع

كنت فى حفلة افتتاح لسنة مضت ألقيت كلمة فى مثل هذا الحفل الكريم تعرضت فيها لبحث طريف من بحوث اللغة العربية . وهو تنازع اللغات فى بعض كلمات شائعة فى لهجاتنا ، وعلى أسنة أقلامنا . وقلت يومئذ إن هذه الكلمات هى من الكثرة بحيث يصح أن تكتب فيها محاضرة بعنوان « تنازع اللغات فى بعض الكلمات » . وفضل أحد الزملاء أن يكون عنوانها (الوغى بين أهل اللغى) .

واللغى بألف مقصورة فى آخرها جمع لكلمة لغة فكما يقال لغات يقال لغى أيضا .

ثم وعدت بعرض نموذجات من كلمات هذا البحث الطريف فى فرصة أخرى .

وها أنذا منجز وعدى فأعد منها ، ريثما أستوفى نصيبي من الوقت فأكف عنها :

١) (صوفى) يوصف بالرجل المعروف بالزهد والتقشف والعزوف عن زهرة الحياة الدنيا . وهو لفظ منسوب إلى لبس الصوف . أو الصُّفّة التى كانت فى المسجد النبوى على عهد سيدنا الرسول . أو أن الصوفى من الصفا بمعنى صفاء القلب من كدورات العالم . فهو على كل حال لفظ عربى . فيقوم اليونان ويقولون : بل إن (الصوفى) كلمة من أصل يونانى مشتقة من كلمة (سوفا) بمعنى الحكمة . فكما أن كلمة (فيلسوف) من (فيلاسوفا) بمعنى محب الحكمة كذلك يقول معشر بنى يونان فى ضده (صوفيست) (Soufist.) بمعنى المفسد للحكمة المشعبذ فيها . وقد عربت صوفيست إلى (سوفسطائى) فكان وصف قدح كما أن فيلسوف وصف مدح . فالصوفى إذن مشتق فى الأصل من كلمة يونانية تشعر بالذم ؛ لكن العرب نقلوها الى المدح : كذا يزعم اليونان .

٢) (قهوة) لفظ عربى سمى به حب (البن) المعروف . مأخوذ اسمه من اسم (القهوة) التى معناها فى اللغة العربية الخمرة . اشتقها العرب من فعل (أقهى يقهى) أى ذهب بشهوة الطعام ، والخمرة والبن كذلك يفعلان .

فتنازعنا فى هذه الدعوى أمة الحبش وتقول : بل القهوة كلمة حبشية مأخوذ اسمها من كلمة (كفأ) وهى اسم لولاية من ولايات الحبش هى موطن البن الأصلى . والفرنسيون يسمون القهوة (Caffé) باسم موطنها الحبشى هذا ، كما سموا البن الجيد موكا (Moka) باسم مدينة (مخا) موطنه اليمنى الأصلى .

---

(١) ألقى هذا البحث فى الجلسة العلنية لافتتاح مؤتمر المجمع فى دورته العشرين .

٣) (الرفت) للموظف هو لفظ عربى مأخوذ من فعل (رفت) بمعنى دقّ وفتّ وكسر . والموظف المرفوت قد فتّ فى عضده وكسر جناحه . فاللفظ عربى إذن .

وقال المرحوم أحمد زكى باشا إن الرفت عربى لكنه محرف عن (الرفض) بالضاد .

ولم يعجب الفرس لا قول العرب ولا قول أحمد زكى . وإنما قالوا (الرفت) كلمة من أصل فارسى ومصدرها (رفتن) ومعناه الكسح والتكنيس وهما أى الكسح والتكنيس بمعنى (التطهير) فى لغة انقلاباتنا الجديدة .

٤) (قانى) من الألفاظ العربية المؤكدة للألوان . وهى تؤكد اللون الأحمر يقال أحمر قان كما يقال أسود حالك . وأصفر فاقع . وأبيض ناصع . هكذا يقول العرب فهى عندهم كلمة عربية فصيحة لا أثر للعجمة فيها .

فيرد عليهم الأتراك ويقولون إن (قانى) تركية الأصل نسبة إلى (قان) بمعنى الدم ، فأحمر قانى بمنزلة قولكم أحمر دموى .

وينكر العرب هذا ويثبتون أن (قانى) عربى مشتق من (القنوء) بمعنى الحمرة . يقال : لحية قانية : أى حمراء . وقنأ لحيته ، وقنّاها إذا خضبها بالحناء فأصبحت حمراء . وقال شاعر العرب :

يسعى بها ذو تومتين منطّق

قنأت أنامله من الفرصاد

يسعى بها أى بالخمرة . وقنأت أنامله أى احمرت .

ثم يقول العرب للأتراك : وما يدريكم أن تكون كلمتكم (قان) بمعنى الدم قد أخذتموها أنتم من (قانى) العربية ؟

والمعركة بين الفريقين مازالت ناشبة .

٥) (النشا) وهو خالص دقيق الحنطة . يقول الفرس هو لفظ فارسى مختزل من (نشاستج) أو (نشاسته) . فينبرى لهم ابن سيده صاحب المخصص ويقول : بل إن (النشا) كلمة عربية من فعل (نشِىَ) إذا شم الرائحة . وقد سمى النشا بذلك لما يشم من خموم رائحته حين صنعه .

٦) (أسطوانة) العمود تشيد عليه الأبنية ولاسيما المساجد . ومنه أسرة الأسطوانى بدمشق . قال ابن دريد وأيده (ابن سيده) هو أى أسطوانة لفظ عربى من قولهم : جمل أسطوانى أى مرتفع طويل العنق .

فيهزأ الفرس بقولهم هذا ويقولون : بل إن (أسطوانة) فارسية أخذها العرب من كلمة (ستون) بمعنى عمود دعامة .

٧) (الناطور) حارس الكرم كلمة عربية من فعل (نطر) بالطاء المهملة لغة فى فعل (نظر) بالظاء المعجمة . أو يقال إن (ناطور) كلمة عربية عامية محرفة من (ناظور) العربية .

ويعارض العرب فى قولهم هذا أمة (النبط) أصحاب الدولة القديمة وعاصمتهم (البترا) ويقولون : إن ناطور كلمة نبطية من لغتنا معشر النبط اقتبستموها أيها العرب من أبنائنا الأنباط الذين كانوا يعمرون سواد العراق وعاشرتموهم منذ القديم .

٨) (جناح) بمعنى الإثم والذنب . كلمة عربية ادعاها الفرس والترك معا . وقالوا إنها معربة من كلمة (كناه) الفارسية أو التركية فعربتموها أيها العرب إلى (جناح) فأصبحت من لغتكم الفصحى حتى نزل بها الوحى الإلهى قال تعالى (ليس عليكم جناح) الآية .

فرد عليهم العرب وقالوا : بل أنتم أخذتم (كناه) من (جناح) وقال الترك: بل أنتم الآخذون المغيرون . ولم تنته المعركة .

٩) (على الحارك) تقول للرسول ترسله لقضاء مصلحة : « ارجع على الحارك » ويقول المصريون فى لهجتهم (على الحركرك) . وكلاهما عربى مشتق من حارك الدابة التى يركبها الرسول الذى ترسله . ومعنى الحارك أعلى الكتف . كأن المرسل يقول لرسوله: أبلغ الرسالة وارجع حالا من دون أن تنزل من على حارك دابتك . أو تقول إن قول العرب (على الحارك) مشتق من كلمة (الحركة) . وما أبرك الحركات وأحوجنا إليها أحيانا .

وأما الفرنسيون فلا يعجبهم اشتقاق الحارك ولا الحركرك من الحركة بل يقولون إنهما مأخوذتان من اللغة الفرنسية التى يقال فيها (Ricà-ric.) أى بالضبط . فهذا من ذاك . والدعوى مازالت قائمة لم يحكم فيها .

١٠) (البريص وبردى) كلاهما اسم لنهر دمشق . فبريص مشتق من البرص أى اللمعان . وبردى من برودة الماء . فاللفظان عربيان . كذا يقول العرب .

عندما يصيح اليونان منكرين قولنا كل الإنكار أن تكون بريص وبردى عربيتين ويدعون أنهما لفظان من أصل يونانى عربهما العرب من كلمة (باراذيسيوس) أى الجنة . ومنه (بارادى) اسم للجنة فى اللغة الفرنسية . ثم قالوا : إنكم أيها العرب تلاعبتم بكلمة (باراذيسيوس) وولدتم منها ألفاظا عدة : بريص . وبردى . وفردوس . وفراديس . وربما غيرها أيضا .

١١) (سارة) زوجة إبراهيم الخليل . اسم عربى مخفف الراء من كلمة (سارة) المشددة الراء وهى اسم فاعل من السرور . أى أن المسماة بسارة تسر القلوب . ويقول العبريون : بل هى أى (سارة) لفظة عبرية مخففة الراء من يوم خلق الله سارة . ومعناها السيدة أو الأميرة . ومنها كلمة (Sœur.) الفرنسية بمعنى أخت . ومنها أيضا كلمتا (سر) و(سير) وهما لقب شرف فى اللغة الإنكليزية .

١٢) (قارة) القطعة الكبيرة من سطح الكرة الأرضية . لفظ عربى من فعل (قر) إذا ثبت واستقر . وتلفظ بتخفيف الراء فيقال (قارة) ، مثلما خففوا كلمة (مكعب) فقالوا مكعَب .

ويقول الأتراك : بل إن (قارة) لفظة تركية أصلها (قره) بمعنى الأرض اليابسة وتستعمل مقابل (دكز) بمعنى البحر . أخذتم يا معشر العرب هذا الاصطلاح الجغرافى وهو قارة من لغتنا ، كما أخذتم كلمة (بوغاز) اسما للمضيق بين بحرين من لغتنا أيضا . وأصل معنى البوغاز فى لغتنا الحلق والحلقوم .

١٣) (خارطة) اسم المصور الجغرافى . كما كان يسميه جغرافيو العرب . وهو لفظ عربى محرف من كلمة (خريطة) العربية بمعنى الوعاء من جلد تضم أطرافه على مافيه بواسطة عرى حواليه . والمصورات الجغرافية قديما كانت تبسط ثم تطوى على نفسها وقاية لها فتصبح كالخريطة .

فينفض الفرنسيون رءوسهم ويقولون : بل إن (خارطة) كلمة فرنسية محرفة من (كارت) بمعنى قطعة الورق المقوى . كانت تصور عليها أقسام الكرة الأرضية . ولكلمة (كارت) أصل يونانى عرفه العرب قديما واشتقوا منه كلمة (قرطاس) بمعنى الورق . وتناوله الأتراك فحرفوه إلى (خرطوش) اسما لوعاء البارود من الورق المقوى .

١٤) (الغول) مخلوق خرافى عجيب الخلقة يطوف فى بوادى جزيرة العرب كما يزعمون . هو لفظة عربية مشتقة من الاغتيال لأن الغول يغتال المسافرين . وقال اللاتين : إنه من لغتهم وأصله فيها (Gulo) . ومن معانيه حيوان مفترس ذو أنياب غزير الشعر أخضر العينين ، يطوف كأنه يمشى على الهواء . كذا وصفوه .

١٥) (فسقية) بركة الماء الصغيرة . يقول العرب إنها عربية من فعل فسق إذا خرج . وكذلك الفسقية فإنكم ترون الماء يخرج من أنبوبة فى وسطها . ويزعم الفرنسيون أنها فرنسية محرفة من (Vasque .) وأصلها اللاتينى (Vasqa .) بمعنى الفسقية التى يزين العرب بها قاعاتهم .

١٦) (شوب) بمعنى الحر الشديد فى اللهجة الشامية . لفظ عربى من فعل شاب يشوب شوبا بمعنى خلط ومزج . وقد تسربت كلمة (شوب) إلينا معشر الشاميين من الآية القرآنية (شوبا من حميم) والحميم الماء الحار . فنقله الاستعمال إلى الهواء الحار الممزوج بالأبخرة المائية . ويقول الفرنسيون : بل إن الشوام بعد أن عاشرونا فى العصور الأخيرة أخذوا شوب من لغتنا واسم الحر فيها (Chaud.)

١٧) (الفرن) يعرفه العرب الأقدمون . والقيم عليه فران . فهو لفظ عربى . والغليظ المستدير من الخبز يسمى (فرنى) نسبة إلى الفرن . وقامت الأعاجم تنازعنا وتقول : بل إن الفرن من لغاتهم التى اسمه فيها (Fournée.) بمعنى وجاق النار . وفيها أيضا (Fourneau) بمعنى مقدار من الخبز يخبز دفعة واحدة . ويقول الفرنسيون : لا هذا ولا ذاك ، وإنما (فرن) من (Phour.) الفرنسية . فنرد عليهم بأن (فور) ليس فى آخرها نون . فيقولون : إنكم أيها العرب زدتم النون عليها كما زدتموها فى (فنار) الفرنسية التى أصلها (Phare.) . واشتد النزاع بيننا وبينهم وسيكون النصر فى جانبنا لظهور حقنا فى دعوانا .

١٨) (منتان) ثوب قصير يلبس على أعلى البدن . هو عربى مشتق من النتن أى الرائحة الخبيثة . وكذلك المنتان يلبس تحت الثياب ، فتكون له تلك الرائحة . وقال الفرس : بل هو

فارسى محرف من (نيم تن) أى نصف البدن . و (تن) بمعنى بدن . وكذلك (المنتان) فإنه إنما ينطبق على نصف بدن الإنسان الأعلى .

١٩) (فسطان) ثوب معروف ويسميه الفرنسيون (.Fustanelle) . قال ابن بطوطة فى رحلته (كنت أرى قاضى مكة لابسا جبة بيضاء من ثياب القطن المدعوة بالفسطان). فالفسطان بالطاء لفظ عربى منسوب إلى (فسطاط) مصر إذ كان يصنع فيها كما يصنع الثوب (الدبيقى) نسبة إلى (دبيق) من بلاد مصر . وكذا القبطية والقباطى ثياب نفيسة يصنعها أقباط مصر .

ولا يخفى أن (فسطاط) عند العرب بمعنى الخيمة العظيمة . ويقول الفرس : (الفسطان) فارسى وأصله (فستان) بالتاء و (تن) بمعنى البدن كما مر .

٢٠) (عورية) كلمة تستعمل فى لهجة الملاحين والبحارة فى السواحل الشامية . يريدون بها السفينة المصابة بتخريب وتحطيم عطلها عن العمل . فهو لفظ عربى مشتق من (العوار) بمعنى العيب فى السلعة . وعور الراعى الغنم عرضها للضياع والتلف .

ورد الفرنسيون علينا دعوانا زاعمين أن (عورية) محرفة عن كلمة (.Avarié) وهو اسم مفعول من كلمة (.Avarie) الفرنسية ومعناها العيب والعطل .

٢١) (القرش) أشهر اسم من أسماء العملة العربية الصغيرة القطع . فهو لفظ عربى مشتق من فعل (قرش) لعياله إذا اكتسب لهم . ومنه سميت قبيلة (قريش) لاشتهارها فى الكسب والتجارة . وإذا كان (قرش) عربيا حسن أن يفتح أوله لأننا نجمعه على قروش . وفعول جمع قياسى لما كان على وزن فعل بفتح فسكون .

وجاء دور الألمان هذه المرة فنازعونا (القرش) وقالوا : هو لفظ ألمانى وأصله (.Groshen) اسم يطلق على عملة ألمانية تساوى عشر المارك . وإذا صح أن أصل القرش ألمانى يحسن أن يكتب ويلفظ بالغين فيقال غرش وغروش .

٢٢) (قازوز . وقازوزة) اسم للشراب المرطب المعروف ،هو لفظ عربى، وهو فى الأصل بمعنى القارورة أى القنينة الصغيرة التى يكون فيها ذلك الشراب . قال الشيخ الفيومى المصرى (القازوزة إناء يشرب به الخمر) فسمى العرب المعاصرون الكازوز باسم ذلك الإناء . فقامت قيامة الفرنسيين وقالوا : كلا بل إن كلمة (كازوز) مأخوذة من كلمة (Gaz) التى اشتقت منها كلمة (.Gazeux) أى شراب غازى ينبعث منه غاز لحين تعرضه للهواء . فكيف تدعون عروبتها ؟ فنحيلهم إلى الفيومى المصرى وهو يعرف كيف يقنعهم .

٢٣) (سلطة) لفظ عربى من (السليط) اسم للزيت الجيد الذى يطيب طعم السلطة .

وقال الفرنسيون : بل هو اسم محرف من كلمة (.Salade) المشتقة من فعل (.Saler) و (Saler) من كلمة (Sel) وهو الملح الذى يطيب طعم السلطة . فنقول لهم : أيهما

أدخل فى تطييب طعم السلطة ؟ الزيت أو الملح ؟ فيسكتون مفحمين عند سماع هـــذه الحجة الصارخة .

٢٤) (فانوس) اسم للمصباح المعروف منذ القديم فى البلاد العربية . وليس النزاع فيه بين العرب وغيرهم وإنما النزاع بين الأعاجم أنفسهم . فالطليان يجعلون لفظ الفانوس الشائع فى بلاد الشرق من أصل لاتينى وأن أصله (ڤينيسين) (Venitienne.) نسبة إلى ڤينيسيا المدينة الإيطالية التى يسميها العرب البندقية . ويقول اليونان : كلا بل إن (فانوس) كلمة يونانية وأصلها (فانوس) الذى يفيد معنى النور . ومنه أسماء قساوسة النصارى : (أبيفانوس) و (ثيوفانوس) ... الخ .

٢٥) (مسخرة) لفظ عربى من سخر به وسخر منه : إذا تهكم واستهزأ ، ومصدره السخرية .

فتقوم قيامة الفرنسيين ويقولون : بل المسخرة فرنسية محرفة من كلمة (ماسكاراد) .(Maskarade) . وماسكاراد هذه مشتقة من كلمة (Maske.) التى معناها وجه صناعى مزوق من ورق ونحوه يلبسونه لأجل السخرية والإضحاك ولاسيما فى أيام الكارنافالات . فنقول لهم : خذوها بارك الله لكم فيها .

٢٦) (بيُّو) اسم للطفل الرضيع . لفظ عربى الأصل محرف عن (بيَّه) . ففى كتب اللغة (بيه) على وزن حبة لفظ يحكى به صوت الصبى . ثم نقل فى الاستعمال إلى الصبى نفسه . وكانت أم عبد الله بن الحارث من أشراف قريش تناغيه وهو رضيع بكلمة (بيه) وترقصه وتقول (تالله رب الكعبه . أزوجن بيه . جارية خدبّه) .

ومازالت تثرثر بهذه (الترقيصة) حتى سمى الناس ابنها (بيه) فلزمه هذا اللقب حتى إلى يوم أصبح عاملا من كبار عمال بنى أمية .

وقال العبرانيون (ببو) أو (بيه) محرف عن كلمة (بابوس) ومعناها فى لغتنا العبرية الطفل الصغير فهى عبرانية لاعربية . فنقول لهم : وربما أيد قولكم هـذا ماجاء فى الحديث الشريف فى خبر راهب إسرائيلى اتهمته أم طفل بأنه أبو طفلها وكادوا يوقعون به لولا أن الراهب المتهم سأل الطفل قائلا (يابابوس من أبوك ؟) فأجابه (أبى : الراعى فلان) .

أما الفرنسيون فيدعون أن (ببو) محرفة من كلمة (Bébé) الفرنسية ومعناها الطفل الصغير .

ويمكننا القول بأن ألفاظ : ببو وبيه وبيبي وبابوس ، وماشاكلها فى سائر اللغات مما يخاطب به الأطفال الرضع وكذا ألفاظ : بابا وبت وأب ، وماشاكلها فى لهجات اللغات الأخرى أيضا مما يستعمل فى تلقيب الأجلاء والأبرار من الرجال — كل هـذه الألفاظ يصح أن يطلق عليها اسم (انتيرناسيونال) أى ألفاظ عالمية ، ولها نظائر يمكن تتبعها وجمعها مثل : (ماما) للأم . (نونو) للصغير . (بربر وباربار) للشعب المتوحش . وكذا بابا وبيو .

٢٧) (قلم) اسم للقصبة التى يكتب بها . كلمة عربية من فعل (قلم) بمعنى قطع . ومنه تقليم الأظفار وتقليم الأشجار . والقلم بمعنى

اسم المفعول أى بمعنى مقلوم . ولذلك قالوا إنه لايسمى قلما حتى يكون قد قطع وبرى وإلا فهو براعة وقصبة . قيل لأعرابى ما القلم ؟ قال لا أدرى . فقيل له : توهمه . فقال: هو عود قلم من جانبيه مثل تقليم الأظفور .

وقال اليونان: ليست (قلم) عربية وإنما هى محرفة من لغتنا اليونانية وأصلها (Calomos)

٢٨) (أرضى شوكى) اسم شائع فى لهجة السواحل الشامية . يريدون به الخضرة التى تسمى فى أقطار أخرى « خوشوف » و « انكنار » . أما أرضى شوكى فاسم عربى كما تدل حروف ألفاظه على عروبته . ويرجع تأويله إلى قولنا (شوك الأرض) لشبه رؤوس أوراقه بالشوك .

ويقول الفرنسيون : بل هو محرف من كلمتنا الفرنسية (Artichaut) . فنقول لهم ومايدرينا أن تكونوا أنتم حرفتم أرض شوكى إلى (ارتيشو) . فيقولون كلا . ونجيبهم بدورنا كلا . ولابد أن ينتهى الأمر بيننا إلى سيادة الحق وغلبته .

٢٩) (الاستادارية) رتبة من رتب الدول التركية فى القرون الوسطى الإسلامية. وقلدهم فيها الخلفاء فى مصر وبغداد . وصاحبها يقال له (استادار) وهو الموظف الذى يرجع إليه فى أمر النفقات وإدارة المطابخ والخدم فى قصور الملوك . فاستادار لفظ عربى محرف من كلمتى (أستاذ) و (دار) العربيتين كأننا نقول أستاذ الدار .

وقد نازعنا الفرس فى عروبة « استادار » وأنكروا أن تكون (دار) فى آخر استادار بمعنى دار السكن العربية وإنما هى أداة فارسية تفيد معنى صاحب الشىء والقيم عليه ، كما هى فى كلمات خزندار وبيرقدار وجوخدار ونحوها . وكلمة (استا) مختزلة من استاد بالدال ، ومعناها رئيس ومعلم بالفارسية . وفى اللهجة العربية العامية حرفت (أستا) إلى « أوسطه » بالطاء .

ويوشك أن يكون الحق مع الفرس فى ادعاء هذه اللفظة .

٣٠) (ألوألو) لفظ تفتتح به المخاطبات التلفونية وهى الكلمة العالمية بحق والتى يتكرر النطق بها كل يوم بل كل ساعة بالمليارات . قالوا أولا : إنهم يجهلون أصل هذه الكلمة . وإنما اتفق لمخترع التلفون وهو يجربه فى أول الأمر أن قال لمخاطبه (ألوألو) فعلق هذا اللفظ على الألسنة كاصطلاح بين المتخاطبين فى التلفون .

فنقول لهم إن فى اللغة العربية كلمة (ألا) وهى تستعمل استعمالا فصيحا فى افتتاح الحديث وطلب الانتباه . وفى القرآن (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) .

فألو إذن عربية نتبناها معشر العرب مادام أصلها مجهولا حتى تجدوا أيها الناس لها أصلا .

لكنهم أخيرا قالوا إنها أى «ألو» مختزلة أو منحوتة من الكلمة الفرنسية (Alons) (Alons) ومعناها لنسر. لنمش . هيا بنا . فنقول لهم إذن هى من لغة بلادكم فحكمكم فيها ظاهر . نرضى لكم به كما لا نرضى إلا أن يكون لنا الحق فى لغة بلادنا .

* * *

هذا أيها السادة نموذج من دعوى النزاع القائم بين العرب وغيرهم بشأن ملكية بعض كلمات لغاتهم . وقد اقتصرت على سرد أقوال المتداعين غير متجرئ على الحكم لهم أو عليهم .

وإنما تركت ذلك إليكم . والسلام عليكم ؟

فى اللغة أبناء علات ، كما فى البشر

للمرحوم الأستاذ عبد القادر المغربى عضو المجمع

كما يكون فى العائلات البشرية بنو علات أى أولاد لأب واحد ولدوا من أمهات شتى ، كذلك فى اللغة العربية (أبناء علات) ، أو تقول (مشتقات علات) .

نرى طائفة من الكلمات ذات وحدة فى مادتها وحروفها . فإذا نقبت عن أصل المادة التى اشتقت منها أو تولدت منها مجموعة تلك الكلمات رأيت أن ذلك الأصل تارة يكون عربياً من وضع العرب الأقحاح فولد ألفاظا عربية قحة . وتارة تجده من لغة الفرس مثلا وقد ولد ألفاظا فارسية استعربت بلسان العرب وأصبحت مع الألفاظ العربية المشاركة لها فى المادة إخوة مندمجة فى أسرة لغوية واحدة : متحدة الأب مختلفة الأم .

ولا يتضح هذا فى النفس ما لم نلم ببعض الشواهد عليه .

« مـــرج »

مادة مرج . قد تكون أما عربية لعدة كلمات اشتقت منها أو تولدت منها . ترى فى كتب اللغة أن تلك المادة أى مادة (مرج) تدل فى أصل معناها على القلق والاضطراب كما فى اللسان . ويلزم من اضطراب الشىء وقلقه فساده وعدم صلاحيته للانتفاع به . فكان الفساد من معانى المرج . ولا شىء من أقوال اللغويين يدل على أن « المرج » بهذا المعنى فارسى الأصل فهو إذن عربى محض . وقد اشتق منه مشتقات عربية كثيرة .

١) مرج الخاتم فى إصبعى مرجا : قلق . وكذلك السهم يقلقه الدم اللاصق به فتختل حركته ويطيش ويسقط . يقال سهم مريج . وإذا كان السهم أعوج ملتويا قيل فيه أيضا سهم مريج . ولا غرو فإن « المرج » يكون بمعنى الفساد كما مر ، واعوجاج السهم والتواؤه فساد فيه . ومما يدل على أن معنى الفساد فى كلمة « المرج » مأخوذ من معنى القلق فى الخاتم قول صاحب النهاية : « مرج الدين فسد وقلقت أسبابه » وكذا الأمر والعهد والأمانة يقال فيها مرجت إذا فسدت .

٢) ومن مشتقات « المرج » العربى قولهم « مرج فلان أمره يمرجه » إذا ضيعه . فهو منه فى قلق واضطراب . ورجل ممراج يمرج أموره ولا يحكمها فهى قلقة مضطربة .

٣) ومن سلالة مرج العربية أمرجت الناقة فهى ممرجة إذا ألقت ولدها قبل تكونه جنينا . فهذا من « المرج » العربى الذى معناه الفساد .

مادة مرج الفارسية : هى أم أعجمية لطائفة من الكلمات العربية اشتقت منها

أو تولدت منها . جاء فى المخصص لابن سيده : «جزء ١٠ ص ١٢٧» ما نصه (والمرج الأرض المغيضة الواسعة التربة المعشاب . وأصله فارسى . وقد جرى فى كلام العرب وصرف . قال العجاج — ووصف عيرا وأتناً — « وقد رعى مرج ربيع مرجا » . والممرج المرعى) اه .

والأصل الفارسى الذى عرب العرب منه كلمة « مرج » هو « مرغ » بفتح الميم وسكون الراء والغين المعجمة . وقد فسر شمس الدين سامى فى قاموسه التركى كلمة « المرغ » بكلمة « چاير » التركية . وتفسر المعاجم التركية كلمة « چاير » بالمرج وبالمرعى . فلم يبق شك فى أن « مرج » العربية ـ التى معناها مرعى الدواب ـ معربة من « مرغ » الفارسية، عربت فى زمن الجاهلية ، واستعملت فى كلامهم كسائر ألفاظهم العربية الأصل. ثم إن « مرج » الفارسية هذه ولدت أولاداً ومشتقات عدة . قال صاحب الصحاح فى تفسير معنى « المرج » الفارسية ما نصه : « المرج الموضع الذى ترعى فيه الدواب » . وزاد عليه صاحب اللسان قوله : «مرج الدابة يمرجها إذا أرسلها ترعى فى المرج . فدل بقوله « فى المرج » على أن فعل مرج الذى هو بمعنى أرسل إنما اشتق من كلمة « المرج » الفارسية » . وزاد هذا القول تثبيتا الشيخ الفيومى المصرى[1] فى مصباحه . ونصه «المرج أرض ذات نبات ومرعى . ومرجت الدابة رعت فى المرج . ومرجتها أنا أرسلتها ترعى فى المرج» . فانظر كيف أن كلمة « المرج » الفارسية دخلت فى تفسير معنى فعل «مرج» الدابة المعرب الذى كادوا يجمعون على أن معناه إرسالها فى المرعى .

وليس هذا فقط بل إن « مرج » بمعنى أرسل الدابة استعمله العرب فى معنى مجازى . وقد جاء بهذا المجاز الوحى الإلهى فى التنزيل سورة الرحمن «مرج البحرين يلتقيان» . قال الإمام الطبرى شيخ المفسرين : « يقول تعالى ذكره : مرج رب المشرقين ورب المغربين البحرين يلتقيان . يعنى بقوله مرج أرسل وخلى من قولهم مرج فلان دابته إذا خلاها وتركها ». وذكر سند هذا التفسير فأوصله إلى ابن عباس . ثم انتقل الطبرى إلى تفسير المراد من إرسال البحرين . فقال : « إن معنى إرسالهما إطلاقهما يجريان حتى إذا التقيا وقف كل واحد منهما عند حدود برزخه فلا يبغى أو يطغى على الآخر » .

فمرج البحرين فى الآية بمعنى أرسل . وهذا إرسال مجازى . أما الإرسال الحقيقى ففى إرسال الدابة طليقة فى المرعى كما لا يخفى .

فقد تحصل معنا أن كلمة « مرج » التى معناها المرعى فارسية الأصل وأن من أولادها اللواتى اشتقت منها مرج الدابة إذا أرسلها فى المرج لترعى . ومرج البحرين أرسلهما تعالى

(١) وقال بعض الإخوان : إن الفيومى صاحب المصباح ليس مصريا وإنما هو عراقى ، والفيوم التى نسب إليها هى مدينة فى العراق مسماة باسم الفيوم المصرية . فليراجع معجم البلدان .

فيلتقيان ولا يبغيان . على أن اللسان يقول أيضا « والمرج الخلط . ومرج الله البحرين خلطهما حتى التقيا » . فيكون المرج فى الآية معنى غير الإرسال لكنه مأخوذ أيضا من الأصل الفارسى أعنى اختلاط الدواب فى المرعى .

٢) ومن مشتقات « مرج » الفارسية قول العرب « مرج الناس » اذا اختلطوا اختلاط الدواب التى تخلى فى المرعى فتسرح حيث شاءت .

٣) ومنها « رجل مراج » قال صاحب اللسان : معناه أنه يزيد فى الحديث . وهذه الزيادة خلط بين شيئين . فلاجرم أن يكون «مراج» هذا من «مرج» الفارسية التى تختلط فيها دواب الرعاة فى المرعى . ويقولون أيضا : فلان سراج مراج أى كذاب (١) .

مشتقات أخرى يحتمل أن تكون من نتاج « مرج » العربية أو «مرج» الفارسية .

---

١) مرج الأمرُ مرجا اختلط والتبس على الناس فلم يعودوا يعرفون وجه الصواب فيه، « فهم فى أمر مريج » كما فى التنزيل . ويقال : « غصن مريج » ملتو مشتبك قد التبست شناغيبه. ويلزم من التباسه على هذا الشكل فساده وعدم الانتفاع به . فالمرج بهذا المعنى مأخوذ من الأصل العربى الذى هو «القلق والاضطراب» . أو يقال هو من الأصل الفارسى الذى معناه « تخلية الدواب فى المرج مختلطة تسرح كيفما شاءت » . إذ أن التباس الأمر واختلاط وجهات النظر فيه يشبه اختلاط الدواب فى المرعى وتسربها أنى شاءت فلا يعود النظر يقدر على تعيين وجهة كل منها ، أو أن الرعاة لا يكادون يميزون بين دوابهم بعضها من بعض .

ففعل « مرج الأمر » بمعنى التبس واشتبه يحتمل أن يكون متولدا من الأصل العربى بمعنى الفساد والقلق أو من الأصل الفارسى وهو اختلاط الدواب فى المرعى .

٢) (المرج) بمعنى الفتنة يحتمل أن تكون من مرج الدواب فى المرعى مختلطة تفعل ما تشاء ويذهب كل منها أنى شاء لا راعى لها ينظم حركاتها ، كما يحتمل أن تكون من قلق الخاتم فى الإصبع واضطرابه . وكذلك الناس فى الفتنة مضطربون فى أعمالهم قلقون فى معايشهم ومشاغل حياتهم .

٣) (مارج من نار) يحتمل أن يكون من (مرج) العربية بمعنى القلق والاضطراب فقد فسروا المارج بالشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد (فهى دائما فى قلق وارتعاش بالطبع) . ويحتمل أن تكون من (مرج) الفارسية بمعنى المرعى الذى تختلط فيه الدواب . وكذلك المارج الذى قيل فى تفسيره أيضا : (مارج النار

---

(١) وهنا يصح السؤال عما إذا كانت كلمة « مراج » تصلح أن تقوم مقام كلمة شارلوتان Charlatane الفرنسية أو لا ؟

لهبها المختلط بسوادها) كما فى اللسان . فالمارج يختلط فيه النور بالدخان كما تختلط الدواب فى المرعى .

وكأنى بقائل يقول : إذا صح ما نقل عن ابن سيده ، من أن كلمة (مرج) فارسية الأصل وقد عربها العرب وصح من جهة أخرى أن هناك كلمات من مادتها لم تجعل مشتقة من هذه الأم الفارسية بل من أم عربية . فلماذا هذا الجعل والتفريق ما دمنا نرى فى هذه الكلمات المنسوبة إلى الأم العربية معنى الاختلاط والفساد الموجود فى الأم الفارسية نفسها، أعنى كلمة (المرج) ؟ فمعانى الكلمات التى ظن أنها عربية نرجعها كلها إلى معنى القلق والاضطراب والفساد . وما الفرق بين هذه المعانى وبين معنى اختلاط الدواب فى المرعى؟ فالمعقول - مادام لا يوجد لعلماء اللغة رأى صريح فى المسألة - أن تكون مادة (م ر ج) فارسية محضة ويرجع معناها الفارسى إلى المرعى واختلاط الدواب فيه ؛ ثم تفرعت من تلك المادة الأعجمية الواحدة مشتقات عربية الأب فارسية الأم وقد حملت معانى: منها الحقيقى ومنها المجازى . وترجع كلها إلى المعنى المستفاد من الأصل الفارسى .

ونحن لا نوافق القائل على قوله هذا من إرجاع معانى (المرج) كلها إلى الأصل الفارسى وحده ، لأن علماء اللغة الذين صرحوا بأن (المرج) بمعنى المرعى فارسى هو ومشتقاته لم يصرحوا كذلك فى (المرج) ذى المعانى الأخرى . فهذا صاحب اللسان يقول: (وأصل المرج القلق) فكيف نقول بعد هذا النص وبعد تصريحه بكلمة (أصل) أن معنى القلق يرجع إلى معنى (المرج) الفارسى وهو المرعى ؟ إذن نبقى على رأينا من أن ألفاظ هذه الأسرة اللغوية بعضها يرجع إلى أم عربية ، وبعضها يرجع إلى أمة فارسية . وبعضها اشتبهت نسبته والتبست تربته فبقى مجهول النسب .

— ٢ —

البزر

مادة (بزر) عربية ولها مشتقات ذات معان مختلفة مسرودة فى معاجم اللغة تؤلف أسرة واحدة . وقد تخلل مشتقات هذه الأسرة لفظ غريب عن الأسرة لا شبهة فى عجمته أو فارسيته . وقد اشتق من هذا اللفظ الفارسى مشتقات ، وبذلك أصبحت مجموعة مشتقات مادة (ب ز ر) أبناء علات . منها ما يرجع إلى أم عربية . ومنها ما يرجع إلى (أم ولد) فارسية .

(الأصل العربى أو الأم العربية) قال ابن سيده: (البزر بفتح الباء وكسرها كل حب يبزر للنبات واستعمل مجازا فى الأولاد . يقال : ما أكثر بزر فلان . والمبزور هو الرجل الكثير الولد . والبزراء المرأة الكثير الولد) اهـ .

وفى الحجاز اليوم يسمون الأولاد (بزورة).

٢) ومن أولاد الأم العربية كلمة البزر بمعنى المخاط وبزر فلان يبزر اذا امتخط .

٣) ومنها (البزر) بكسر الباء وفتحها

والكسر أشهر ــ التابل وهو (ما يؤكل مع الطعام لهيج شهوته) وجمعه أبزار وأبازير. وإلى هذا البزر ينسب (سوق البزورية) وهو أشهر أسواق دمشق كالحمزاوى فى القاهرة .

٤) ومن مواليد مادة (بزر) العربية بزره بالعصا إذا ضربه بها . والعصا نفسها تسمى البيزارة والبيزر والمبزر هذا اسم العصا بشرط أن تكون عظيمة ضخمة . ومنه قول القائل فى وصف وقعة الجمل : (فأشبهت وقع السيوف على السهام إلا بوقع البيازر على المواجن). فالبيازر: العصى الضخام . أما (المواجن) فجمع ميجنة وهى عصا القصار أو مـــدقه أعنى خشبته التى يدق بها أو تقول يبزر بها الثوب فى المـــاء لينظف .

ولى هنا إشكال لم أهتد إلى حله إلا بصعوبة ذلك أنهم قالوا : البيازر هى العصى الضخام التى تتخذ مداق للقصارين ومثلها المواجن . فكيف ينظف الثوب بدقه بين عصوين ؟ فلم يبق إلا أن يقال إن البيازر يدق بها الثوب المبلول الذى يكون ملقى على عصا أخرى وتكون العصا الأخرى عريضة صلبة وهى الميجنة . فالميجنة تارة يخبط بها وتارة يخبط عليها . أما البيزارة فهى التى يخبط بها لا عليها .

٥) قالوا : ومن مشتقات « بزر » العربية ما جاء فى حديث أبى هريرة « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما ينتعلون الشعر وهم البازر » . والبازر بتقديم الزاى على الراء ناحية فى بلاد فارس . فقوله فى الحديث وهم البازر يعنى أهل البازر . قيل هم الأكراد اهـ . لكن التحقيق أن البازر بتقديم الزاى على الراء تحريف وأن صوابه « البارز » بتقديم الراء على الزاى . وهذه الزاى تقلب أحيانا سينا فتصبح « بارس » وبارس اسم بلاد فارس ، وبالسين ينطقها أهل تلك البلاد بلغتهم اليوم كما لا يخفى ، كما ينطقها الفرنسيون برس بلغتهم .

وقال لى صديق إيرانى فاضل وهو محمد محيط الطباطبائى : إن فى هذه الناحية التى سماها الحديث « بارز » وهى بقرب كرمان بلدا ما زال يسمى بارز إلى أيامنا هذه .

« الأصل الفارسى » أو الأم الفارسية التى استولدها العرب أولادا اندمجوا فى أسرة «بزر» العربية ــ كلمة « البيزرة » وهى مهنة تربية جوارح الطير كالباز والشاهين والصقر . ويكون صاحبها عادة فى خدمة الملوك والأمراء ، ويسمى « البازيار » و «البازدار» .وكلتا الأداتين «يار» و « دار » فارسية تفيد معنى صاحب الشىء الملازم له والقيم عليه والمولع به ، ومن هنا جاءت « يار » بمعنى العشق . فشهريار صاحب البلاد وهو الملك،وبختيار صاحب البخت وهو المحظوظ السعيد فى حاله وماله ، وسنجقدار صاحب السنجق ، وبيرقدار صاحب البيرق وهو الراية .

وهكذا يقال فى معـــنى « بازدار » و « بازيار » صاحب الباز وحامله فى الصيد والمتولى أمره . وقد اشتقوا من الأولى مصدرا فقالوا « البزدرة » وهى مهنته . وكذلك اشتقوا من البازيار « البزيرة » بتقديم الزاى ؛ لكن العرب لم يبقوا على المصدر الأخير أعنى «البزيرة»

بل تصرفوا فيه بعد تعريبه . فقدموا الياء على الزاى وقالوا « البيزرة » كأنه مصدر « البايزار » ، ولم نسمعهم يقولون (البايزار) بتقديم الياء وإنما يقولون (البازيار) لفظا فارسيا مركبا من (الباز) و (يار) كما مر . و (يار) كما قلنا فارسية البتة .

أما (الباز) اسما للطائر فظاهر أقوال علماء اللغة العربية أنه عربى كالبازى بالياء فى آخره. ولم أر من صرح بعجمة الباز ؛ اللهم إلا شمس الدين سامى فى (قاموسه) فقد قال إن الباز فارسى . والعرب وإن قالوا إن (الباز) عربى فإنهم بعد تركيبه مع (يار) فى (البازيار) يقولون عنها (أى عن البازيار) إنها أعجمية . هذا الشيخ الأزهرى أقدم اللغويين يقول فى كتابه (تهذيب اللغة) كما نقله عنه صاحب التاج (والبيزار الذى يحمل الباز ويقال فيه البازيار، كلاهما دخيل اهـ) فهذا صريح بأن (البيزار) الذى هو مقلوب (البازيار) ـ ويدلان على صاحب الباز ـــ يعتبرهما علماء العربية من معربات اللغة ومن الدخيل فيها .

فتحصل معنا أن فى مادة (بزر) أصلين أو أمين إحداهما عربية بمعنى الضرب . ومنه اشتق فعل (بزر) أى ضرب وكلة (البزارة) أى العصا التى تخبط بها الثياب لتنظيفها . والأم الأخرى كلمة (بازيار) الفارسية بمعنى صاحب الباز . وقد استولدها العرب ولدا وهو (بيزار) بمعنى مربى الباز . وجعلوا من البيزار مصدرا وهو البيزرة ، ومنها كتاب « البيزرة » .

بيد أن الأصل العربى أم ولود نشور لها الكثير من الأولاد ، أما الأصل الفارسى فأم مقلات نزور ، لم تلد إلا النزر القليل .

عسكر

هذا اللفظ أو هذه المادة (ع س ك ر) عرفها العرب فى أصل لغتهم . واستعملوها فى معان خاصة ثم عادوا فعرفوها من طريق اللغة الفارسية عندما سمعوا الفرس يقولون (لشكر) أى الجيش المحارب فاقتبسوا لشكر منهم وعربوها .

(عسكر العربية ومشتقاتها) قال صاحب اللسان : العسكرة الشدة والجدب . ثم استشهد على كونها بمعنى الشدة بقول طرفة بن العبد : (ظل فى عسكرة من حبها) أى ظل ذلك المحب فى شدة من حب محبوبته . وقال آخر :

عساكر تغشى النفس حتى كأننى
أخو سكرة دارت بهامته الخمر

وإذا قالوا عساكر الهم أرادوا ماركب بعضه بعضا وتتابع من الهم . ومن معانى العسكر العربية قولهم عسكر الليل يعنون ظلمته . ولا يخفى ما بين الشدة والظلمة من التشابه والتناسب . فكلتاهما من معانى العسكرة العربية التى لانزاع فى عروبتها بين علماء اللغة .

(وعسكر الفارسية ومشتقاتها) قال فى اللسان عطفا على العسكرة العربية التى فسرها بالشدة ما نصه : (والعسكر الجمع :فارسى) ويعنى بالجمع الجماعة من الناس . ولما كان الجيش المحارب جمعا سموه عسكرا ؛ لكن عسكر هذه المعربة لم تبق على ما كان يلفظها الفرس بلغتهم . فإن العسكر بلغتهم (لشكر) باللام فعربها العرب إلى (عسكر) بقلب لامها عينا وأدمجوها فى لغتهم العربية واشتقوا منها مشتقات أكثر مما اشتقوا من ضرتها (عسكر) العربية ، بل قد توسعوا فى عسكر

الفارسية إلى أبعد حد ، فسموا الجمع من الرجال عسكرا . وكذا الجمع من الخيل والكلاب . وإذا كان للرجل مال ونعم سموا جمع ماله ونعمه عسكرا حتى قال شاعرهم :

هـل لك فى أجر عظيم تؤجره

تعين مسكينا قليلا عسكره ؟

أى أنه لايملك مـــالا ولا أنعاما ولا ماشية ، فهو قليل العسكر . كل ذلك من حسن تصرفهم فى تلك اللفظة الفارسية التى تبنوهـا ، وانتفعوا بما استولدوه من بزورها . وكما اشتقوا مـن (اندازه) الفارسية بمعنى المقياس فعل (هندس يهندس هندسة) اشتقوا مـن عسكر الفارسية فعل عسكروا بالمكان إذا تجمعوا فيه ، فهم معسكرون ، والموضع ينزل فيه العسكر يسمى معسكرا بفتح الكاف .

وهنا ينبرى لنـا القـائل الذى سبق أن اعترض على رأينا فى مادة (مرج) والتفرقة بين عربيتها وفارسيتها فيقول : لايوجد (عسكر) فى أصل اللغة العربية وإنما هى أى عسكر كلمة فارسية فقط وقـد عربها العرب فاستعملوها فى معناها الفارسى وهو الجمع والجماعة والجيش . ثم تصرفوا فيها وتجوزوا ما شاءوا وشاء استهداءهم فاستعملوها بمعنى الشدة وجعلوا للشدائد والهموم والظلمات عساكر وجيوشا تتلاحق على التجوز . فليست هذه المعانى أى الشدائد والهموم والظلمات لكلمة « عسكر » العربية التى زعمتموها ولا وجود لها ، وإنمـا هى من المعانى المجازية لعسـكر الفارسية ؛ فالعسكر كالمـرج كلتاهما فارسيتان عربهما العرب واستعملوهما فى معان حقيقية ومعان مجازية .

هذا ما يقوله القائل . وهو اجتهاد فى اللغة لا نقره عليه . وإنما الصواب الذى يميل إليه القلب هو الوقوف عند حدود ما قال علماء اللغة من أن (المرج) بمعنى المرعى فارسى معرب ، وما سواه أطلقوا فيه القول فيكون عربيا . وكذلك العسكر بمعنى الجند والجماعة من الناس فارسى معرب ، وما سواه من المعانى التى ذكروها للعسكر العربى فهى معان عربية .

ومـاذكرناه من المواد (مرج . بزر . عـسكر) إنما هو مثال لما سميناه (أبناء العلات فى اللغة) وإلا ففى مواد كلمات اللغة أشباه ونظائر لما ذكرنا تكاد لا تعد ولا تحصى .

والفطن لا يعدم الانتبـــاه إلى أمثالها . كـكلمة (سكر) فهى معربة من (شكر) الفارسية التى لها أبناء ومشتقات . وهناك « سكر » العربية وأصل معناها فى اللغة « السد » ، ولها أبناء ومشتقات أيضا .

فالفريقان من مشتقـــات « سكر » الفارسية و « سكر » العربية يؤلفان أسرة أو عائلة لغوية واحدة ، كلماتها أبناء عـــلات وهكذا وهكذا . . ؟

وحى الأصوات فى اللغة

للأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس
الأستاذ بكلية دار العلوم

يستطيع كل منا أن يرتجل كلمة من الكلمات وأن يخلع عليها من الدلالة ما يشاء ، ولكن مثل هذه الكلمة لا تصبح جزءا من اللغة إلا بعد أن يتاح لهـــا الشيوع والذيوع بين أفراد البيئة ، بحيث يستعملها كثير من الناس فى خطابهم وحديثهم .

فهب مثلا أنك ارتجلت كلمة مثل « تزلمع » ، وطلبت إلى صـــديق لك أن يخمن لها دلالة ، فستراه يضع لها دلالة مّا ، يستخرجها من تلك الذخيرة اللفظية التى يختزنها فى ذهنه ، والتى اكتسبها فى مراحل تعلمه للغة قومـــه . فإذا عرضت نفس الكلمة على صديق آخر يشبه الأول فى وسطه الاجتماعى وفى ثقافته فقد يستخرج لك نفس الدلالة ، أو شيئا شبيها بها أو قريبا منها . وهنا ندهش لمثل هذه الظاهرة ، وقد ننسبها مرة لسبب سحرى غامض ، وأخرى لأمر روحانى نعجز عن إدراكه . وقد يراها اللغوى المحافظ مظهرا من مظاهر السليقة اللغوية التى تتصل بالوراثة ، والتى فطر عليها أفراد كل بيئة من البيئات اللغوية .

غير أن اللغوى الحديث لا يرى فيما يسمى بالسليقة اللغوية إلا المران الكافى ، ولا يفسرها إلا على أنها ملكة مكتسبة وليس للوراثة أو الجنس أثر فيها .

لهذا يلتمس تفسيرا آخر لتلك الظاهرة ، وينسبها إلى ما نسميه هنا بوحى الأصوات . فالمرء يتعلم لغة أبويه ، ويربط منذ طفولته بين ألفاظ قومه ودلالاتها ربطا وثيقا ، وتختزن فى ذهنه تلك الألفاظ مـع دلالاتها فى شىء من التنظيم والترتيب يساعد على أن يدعو بعضها بعضا ، ويذكر بعضها ببعض .

ويقضى المرء فى اكتساب تلك الملكة اللغوية زمنا طويلا من حياته أو طفولته ، حتى يسيطر على قدر كبير من الألفاظ ودلالاتها ، وتتألف فى ذهنه تلك الذخـــيرة اللفظية الدلالية ، وعلى أساس ما اكتسب من ألفاظ ودلالاتها يستطيع استنباط مدلول اللفظ الجديد على سمعه .

ومع أن الناس يختلفون فى تجـــاربهم مع الألفاظ والدلالات ، تتكون لديهم تلك القدرة على استيحاء الدلالة المجهولة ، أو طرف منها من لفظ معلوم ، وذلك لأنهم لا يزالون يشتركون فى الدلالات المركزية ، ويشتركون فى اختزان ألفاظ معينة هى ألفاظ لغة بيئتهم .

وعلى قـدر اشـتراك الناس فى الوسـط الاجتماعى والثقافة العامة يكون اشتراكهم أو تقاربهم فى استيحاء تلك الدلالات المجهولة .

فإذا عرضت تلك الكلمة المرتجلة على جماعة من وسط واحد وثقافة متقاربة رأينا تشابها

عجيبا فى استنباطهم لدلالتها . فعرض هذه الكلمة على مجموعة من طلبة الجامعة ينتج غير ما ينتج عرضها على مجموعة من القرويين مثلا ،

وعلينا أن نتذكر مع ما تقدم أن لكل لغة نظاما خاصا فى تأليف ألفاظها ، فما يشيع فى إحداها قد يندر فى الأخرى . فألفاظ اللغة العربية تتألف من تلك الحروف الهجائية المألوفة لنا ، ويتكون لتلك الألفاظ العربية نسج خاص ، إذا حاد عنه اللفظ قيل إنه غير عربى . وكان القدماء يشعرون بشىء من هذا حين أكدلنا بعضهم أنه لا تجتمع الجيم مع القاف فى كلمة عربية مثل « المنجنيق » ، ولا تجتمع الصاد والجيم فى كلمات العرب . فكلمة مثل « صولجان » غريبة عن النسج العربى ، ولا تكون النون قبل راء إلا فى الكلمات الأعجمية مثل « نرجس » ، ولا تكون الزاى بعد دال كما فى كلمة « مهندز » الأجنبية التى صارت فى لهجاتنا الآن « مهندس » . ولا تكون الشين بعد لام ، ولا تجتمع الباء والسين والذال فى كلمة عربية ، ولا الطاء والجيم . ولا تعرف لغتنا العربية الزاى والذال مع السين إلا فى تلك الكلمة المعربة التى تنطق بها على صورة « ساذج » ، ولا تجتمع الصاد والطاء ، وندر اجتماع الراء مع اللام ، ولابد من وجود حرف من حروف الذلاقة « م ن ر ل ب ف » فى الرباعى والخماسى (١) .

نقرأ مثل هذه الملاحظات السريعة فى كتب القدماء ، ولكن الأمر أعمق من مثل تلك الملاحظات القليلة ، ويحتاج إلى استقراء أوفى وأتم ، حتى نستطيع الوقوف على نسج الكلمة العربية . فما يمكن أن يتألف من حروفنا الهجائية يجاوز ١٢ مليونا من الكلمات ، قرر هذا الخليل من قبل ، وتقر صنعه الآن العمليات الحسابية الحديثة . ولكن المستعمل من الألفاظ لا يكاد يجاوز ثمانين ألفا ، فيها يشيع حرف أكثر من حرف ، بل قد تختلف فيها نسبة شيوع الحروف على حسب موضعها من الكلمة . فلو أن اللغة كانت تسمح باستعمال كل تلك الملايين من الألفاظ لأشبهت الحروف بعضها بعضا فى شيوعها ، ولا يتكون للغة حينئذ نسج خاص تتميز به . ولكن اللغة قد تخيرت مجموعات صوتية معينة هى التى اختصتها بالدلالة ، وأهملت الكثرة الغالبة .

ونكتسب نحن ألفاظ اللغة كما وردت إلينا ، ونختزن قدرا كبيراً منها يتألف على نظام معين ، ويمكن أن نقرر بعد دراسة واستقراء أن نسبة شيوع « السين » مثلا فى كلام فلان هى كذا ، ونسبة الميم فى كلامه هى كيت ، وتوالى الفاء والدال فى ألفاظه أقل من توالى الفاء والجيم مثلا ، واجتماع اللام والعين والباء أكثر من اجتماع اللام والعين والقاف ،

(١) شفاء الغليل للخفاجى صفحة ٧

وغير ذلك من نسب كثيرة قد يهدينا إليها الاستقراء . فالمرء إذن يخضع لما يكتسبه من ألفاظ ، ويتأثر بنظام تلك الألفاظ ونسجها وتركيبها . ومع هذا فأفراد البيئة قد يشتركون فى شىء من هذا ، ويتأثرون جميعا بمجموعة كبيرة جداً من الألفاظ المشتركة بينهم .

غير أن هذا الاشتراك يكثر أو يعظم فى الأوساط المتشابهة ، ولدى أصحاب الثقافات المتقاربة .

وعلى هذا فمجرد النطق بتلك الكلمة المرتجلة يدعو إلى الذهن لفظا آخر معروفا يشترك معها فى بعض حروفها أو صفات تلك الحروف ، ويفد ذلك اللفظ المعروف ومعه دلالته فيوحى بشىء من دلالة ذلك اللفظ المرتجل .

ويغالى بعض اللغويين فيتصورون ـ من أجل هذه الظاهرة ـ أن هناك ربطا طبيعيا بين الألفاظ ودلالاتها ، ولا يخطر ببالهم أن القدرة على استيحاء الدلالات مرجعها إلى ما يكتسبه المرء من ألفاظ معينة ، ومن ربطه بين تلك الألفاظ ودلالاتها ربطا وثيقا . فالعملية كلها مكتسبة ، لا سحر فيها ولا غموض ، ويمكن أن يستدل على صحتها بالتجربة كما سنرى .

ويرى « ڤندريس » أنه من الحق الحكم بوجود علاقة ضرورية بين أصوات الكلمة ودلالاتها . وقد سخر من أولئك الذين نادوا بهذا الرأى أمثال « سان توماس الاكوينى » ، غير أنه اعترف بأن بعض الألفاظ أقدر على التعبير من البعض الآخر . ولكن المرء فى رأيه حين يقيم ائتلافا بين اللفظ ومدلوله إنما يسير على نهج عادة قديمة جداً حين كانت الألفاظ تعد جزءاً لا يتجزأ عن الأشياء ، وحين كان الاسم له منزلة الجسد والروح كما هو الحال الآن عند بعض الأمم البدائية الذين يعتقدون أن الإنسان يتكون من الروح والجسد والاسم .

ويختتم « ڤندريس » كلامه بما ترجمته :

« كل كلمة ـ أيا كانت ـ توقظ دائما فى الذهن صورة ما : بهيجة أو حزينة ، رضية أو كريهة ، كبيرة أو صغيرة ، معجبة أو مضحكة ، تفعل ذلك مستقلة عن المعنى الذى تعبر عنه ، وقبل أن يعرف هذا المعنى فى غالب الأحيان .

اذكر اسم إنسان ما أمام شخص لم يره قط ، فإنه يكون عنه فكرة فى الحال ، فكرة زائفة على وجه العموم .

فإذا قدمت له هذا المجهول أجابك على الفور : « أهو هذا ؟ ما كنت أظنه هكذا ! »

ومثل هذا الشىء نفسه يحصل بالنسبة لكلمات اللغة ، فإدراكنا للأشياء خاضع لانطباعات فجائية منبعثة من الاسم الذى يدل عليها (١) .

---

(1) Language P. 237

ويبدو من هذا النص أن « فندريس » يرى أن تلك الصورة التى تنطبع فى الأذهان لدى سماع الكلمة المجهولة لا تكاد تمت إلى الدلالة الحقيقية بأية صلة . وهو بهذا يتجاهل أثر التجارب السابقة فى ذهن كل منا ، وما تخضع له كل لغة من نظام فى مجموعاتها الصوتية ، ترتبط كل مجموعة منها بدلالة معينة . فمجرد النطق باللفظ يستدعى إلى الذهن أمثاله من الألفاظ ، ويستدعى معها دلالاتها ، ويستوحى المرء من كل هذا دلالة لذلك اللفظ المجهول على أساس ما اختزنه فى حافظته . وقد يوفق فى هذا الاستيحاء كل التوفيق أو بعضه ، ولكنه على كل حال يجد نفسه قريبا من الدلالة الحقيقية فى نسبة غير قليلة من الحالات ، وهو ما برهنت عليه تجاربنا مع بعض طلاب الكليات والمدارس

سجل أبو حيان التوحيدى (١) فى رسالة له كتبها فى الانتقاص من الصاحب ابن عباد لموقف له مع أحد الشعراء ، حين أنكر على هذا الشاعر أن يتجرأ على قول الشعر وهو يجهل كثيراً من الغريب . ثم سرد « الصاحب » على مسمع الشاعر طائفة كبيرة من الكلمات النادرة المهجورة التى كان يفخر بمعرفتها والإحاطة بدلالاتها منها :

الهبلع ، الجرفاس ، الخيتعور ، النعثل ، القهبلس ، القذعملة ، الطربال ، الشنعوف ، العشاط ، القفندر .

وقد عرضنا هذه الألفاظ على مجموعة من طلبة الليسانس بكلية دار العلوم عددهم أربعة وعشرون ، ثم عرضناها مرة أخرى على طلبة السنة التوجيهية فى إحدى المدارس الثانوية وعددهم ثلاثة وعشرون ، وطلبنا من كل طالب أن يسجل ما توحيه كل لفظة من دلالة فى ذهنه .

ولكن رغبة فى ألا نترك الطالب فى ظلام دامس ، رأينا أن نلمح له بما يحصر تخمينه فى نطاق محدود ، فقلنا له إن « الهبلع والجرفاس والخيتعور والنعثل » صفات للرجل ، وإن « القهبلس والقذعملة » من صفات المرأة ، وإن « الطربال » صفة للبناء ، وإن « الشنعوف » جزء من الجبل ، وإن « العشاط » صفة للبن ، وإن « القفندر » لواحد من الجمال أو القبح فأيهما تختار ؟

ويلاحظ فى التجربة أن بعض طلبة دار العلوم لم يجيبوا بشىء عن بعض الكلمات ، وذلك لأننا طلبنا منهم عدم الإجابة حين يكون

---

(١) « العربية » تأليف المستشرق يوهان فك ترجمة عبد الحليم النجار صفحة ١٦٢

أحدهم على علم بمدلول الكلمة من قبل .

وها هى إجابات طلبة كلية دار العلوم :

١ — الهبلع :

فسرها تسعة من الطلبة على أنها « الأبله العبيط » . وفسرها أربعة منهم على أنها « الأكول النهم » ، وهو المعنى المعجمى الصحيح . وفسرها أربعة على أنها « الضخم المهول » . وفسرها ثلاثة من الطلبة على أنها « القصير » .

أما باقى الطلبة فتباينت إجاباتهم .

وهكذا ترى أن مجموعة كبيرة من هؤلاء الطلبة تشترك فى الدلالة ، ونسبتهم ٣٧ ٪ أى ٩ من ٢٤

٢ — الجرفاس :

أجاب نحو ١٤ طالبا مفسراً الكلمة على أنها « القوى الضخم والشجاع الخشن » .

وتلك هى دلالات متقاربة بنسبة ٥٨ ٪ .

أما باقى الإجابات فتباينة . والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « الضخم » .

٣ — الخيتعور :

أجاب ثمانية من الطلبة مفسراً الكلمة على أنها « الذليل الضعيف الجبان الكسلان » . ولم يجب بشىء ستة من الطلبة . أما الباقى فإجاباتهم متباينة : أى أن نسبة الاشتراك فى الإجابة ٤٤ ٪ . والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « الخداع المخاتل » ، فليس منهم من استطاع تخمين المعنى الصحيح .

٤ — النعثل :

لم يجب عن هذه الكلمة غير ١٣ طالبا منهم ثمانية فسروها على أنها « الهادئ الناعم الوديع » : أى أن نسبة الاشتراك فى الاجابة ٦١ ٪ . والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « الشيخ الأحمق » .

٥ — القهبلس :

لم يجب غير عشرين من الطلبة ، منهم عشرة فسروها على أنها « المرأة الضخمة البدينة » : أى أن نسبة الاشتراك فى الإجابة ٥٠ ٪ .

والمعنى المعجمى هو « المرأة الضخمة » .

٦ — القذعملة :

أجاب ١٧ طالبا منهم ١٤ فسروها على أنها القصيرة القميئة . وتلك هى الدلالة المعجمية الصحيحة ؛ فتكون نسبة الاشتراك هنا ٨٢ ٪ .

٧ — الطربال :

أجاب ١٧ طالبا منهم ٩ فسروها على أنها « البناء الضخم العالى الشامخ » . وتلك هى الدلالة المعجمية الصحيحة . فتكون نسبة الاشتراك ٥٣ ٪ وأجاب ثلاثة فقط فوصفوا البناء بأنه

« المتهدم المنهار » . أما الباقى فإجاباتهم متباينة .

٨ ــ الشنعوف :

أجاب عشرون طالبا ، منهم ١١ فسروها بأنها «قمة الجبل» . أى أن نسبة الاشتراك ٥٥ ٪ فى حين أن ثلاثة فقط قالوا عنها إنها « أسفل الجبل » ، وأربعة من الطلبة وصفوها بأنها «طرف بارز رفيع» .

والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « القمة » .

٩ ــ العثلط :

أجاب عنها ٢١ طالبا ، منهم ١٧ وصفوها بأنها « اللبن المتجمد المتخمر » ، وتلك هى الدلالة المعجمية، أى أن نسبة الاشتراك ٨٠ ٪

١٠ ــ القفندر :

أجاب عنها ٢٠ طالبا ، منهم ١٢ قالوا عنها إنها صفة للجميل ، ٨ من الطلبة قالوا عنها إنها صفة للقبيح . أما المعنى المعجمى للكلمة فهو : « القبيح المنظر » .

وهكذا نرى أن مجموعة من الطلبة الذين ينتمون إلى وسط اجتماعى واحد ، ويشتركون فى الثقافة والبيئة التعليمية قد استنبطوا دلالات مشتركة بينهم بنسبة ٦٠ ٪ فى المتوسط .

ولم يبق سوى النسبة القليلة التى يمكن إرجاعها إلى التجارب الخاصة والأمزجة المختلفة .

كذلك نرى أن الدلالات المشتركة لم تكن دائما الدلالة المعجمية الصحيحة ، فلا تكاد تجاوز الإجابة الصحيحة نسبة ٤٢ ٪. أى أن استنباط الدلالة الصحيحة من اللفظ أمر عسير حتى على أبناء دار العلوم الذين قطعوا شوطا بعيداً من الثقافة اللغوية .

أما إجابات طلبة التوجيهى فى المدرسة الثانوية ، فكانت نسبة الاشتراك فى المتوسط نحو ٦٠ ٪ أيضا ؛ ولكن الإجابة المطابقة للدلالات المعجمية لم تجاوز نسبتها ٣٠ ٪ لأنهم أقل اتصالا بالثقافة اللغوية العربية من أبناء دار العلوم .

فهم ـ لأنهم من وسط واحد ، وعلى قدر واحد من الثقافة العامة ـ اشتركوا فى استيحاء الدلالات بنسبة كبيرة، ولكن إجاباتهم كانت مختلفة عن إجابات أبناء دار العلوم بشكل ملحوظ .

١ ــ الهبلع :

هنا رأينا ١٦ طالبا تحوم إجاباتهم حول جو واحد من الدلالة ، فمعظمهم وصف الكلمة بأنها « الأبله العبيط » وبعض هؤلاء قالوا عنها إنها « الطويل » ، ومن السهل علينا الربط بين الدلالتين : أى أن نسبة الاشتراك ٦٩ ٪ (١٦ من ٢٣) .

٢ ــ الجرفاس :

أجاب عنها ١٢ طالبا بدلالات متقاربة تتلخص

فى القوة وما يصحبها من شر أو شجاعة : أى أن نسبة الاشتراك ٥٢ ٪ .

٣ ــ النعثل :

أجاب عنها ١٥ طالبا بدلالات متقاربة هى « النعسان النائم الهادئ » : أى أن نسبة الاشتراك ٦٥ ٪ .

٤ ــ القهبلس :

أجاب ١٢ طالبا بقولهم إنها « الغانيــة غير الشريفة » : أى أن الدلالة فى أذهانهم حامت حول الجاذبية الجنسية ، فكانت نسبة الاشتراك ٥٢ ٪ .

٥ ــ القذعملة :

أجاب ١٦ طالبا فأصابوا فى استنبــاط المعنى المعجمى الصحيح ، وقالوا إنها « القصيرة » : أى أن نسبة الاشتراك ٦٩ ٪ .

٦ ــ الشنعوف :

أجاب ١٣ طالبا فقالوا عنها « القمة » ، وتلك هى الدلالة المعجمية الصحيحة : أى أن نسبة الاشتراك ٥٦ ٪ .

٧ ــ الطربال :

أجاب ١٦ طالبا فوصفوا البناء بدلالات متقاربة مثل « العالى الشاهق الضخم » : أى أن نسبة الاشتراك ٦٩ ٪ .

٨ ــ العثلط :

وصفه ١١ طالبا بأنه « الجــامد الراثب المقطع » : أى أن نسبة الاشتراك ٤٨ ٪ .

٩ ــ القفندر :

وصف ١٤ طالبا هذه الكلمة بأنها تعبر عن الجمال : أى أن نسبة الاشتراك ٦٠ ٪ .

ولسنا نزعم أن مثل هذه النسب تطرد فى كل تجربة من هذا النوع ؛ فقد تكون بعض الكلمات أكثر إيحاء من البعض الآخر ، وقد تختلف ظروف التجربة فلا تؤدى إلى نفس النتيجة فى كل مرة .

ولكن الذى نؤكده هو أن نسبة كبيرة من الاشتراك فى استيحاء الدلالات تتم فى الوسط الموحد الثقافة والمتقارب فى التجارب . وتأيد هذا لدينا من تجارب أخرى متعددة أسست على كلمات أخرى مجهولة الدلالة .

ننتهى من هذه التجارب إلى أن ألفاظ اللغة تخضع لنظام خاص فى تركيبها من الحروف الهجائية ، وأن بعض هذه الألفاظ يختزنها المرء فى حافظته ، وهى وإن خضعت للنظام العام للغة تتميز بصفات معينة ، وتترك أثراً قويا فى ذهن من يعيها ويحفظها . فإذا دل استقراء

المستعمل من ألفاظ اللغة ، على أن نسبة توالى الفاء والجيم مثلا أكثر من توالى الفاء والصاد ، فقد يتصادف أن ما يحفظه المرء من ألفاظ يعطى نسبة أخرى قد تكون عكسية ، فيها توالى الفاء والصاد أكثر من توالى الفاء والجيم.

ويقال حينئذ إن توالى الفاء والصاد فى ذهن شخص معين أوضح وأكثر شيوعا منه فى ذهن آخر ؛ ولكن الشخصين يخضعان معا للنظام العام الذى تجرى عليه ألفاظ اللغة .

تلك هى الصفة التى تميز شخصا من شخص ، وتجعل استيحاء الدلالة من اللفظ تختلف فى بعض الأحيان بين شخصين من وسط اجتماعى واحد وثقافة واحدة .

وتختلف نسبة شيوع المجاميع الصوتية فى ذهن كل منا ، فبعضها أوضح من الآخر وأقرب إلى التذكر ، فمجموعة مثل « ملع » تدعو إلى ذهن بعض الناس مجموعة مثل « دلع » وفى ذهن الآخرين مجموعة أخرى مثل « لمع » . ولذا نرى لفظ « ملع » قد يوحى إلى الفريق الأول دلالة « الدلع والميوعة والتخنث » . وقد يدعو إلى ذهن الفريق الآخر دلالة « اللمعان والبريق والضوء » .

هذا هو وحى الأصوات أو استيحاء الدلالات من الألفاظ . وقد أطلقنا عليه الوحى لأنه لطيف لايدرك إلا بعد التجارب والدراسة المستفيضة ، ولأنه عمل من أعمال العقل الباطن أو اللاشعور ، يحس به المرء دون أن يدرى كيف أحس به .

وللأدباء بصدد هذا الاستيحاء قدرة أخرى فوق ما للمرء العادى ، يستمدونها من خيالهم وتبنيهم للألفاظ . وتمدهم هذه القدرة بظلال من الدلالات لا تكاد تخطر فى ذهن الآخرين ، وليس من مجال هذا البحث التعرض لما يخطر فى ذهن الأدباء والشعراء ، ولذا نؤثر الابتعاد عنه ، تاركين تلك الظلال الدلالية الخاصة بهم لدارسى النقد الأدبى .

وكما توحى الألفاظ بالدلالات ، قد توحى الأشكال والمناظر بشىء من الدلالات أيضا . وذلك لأن المرء يعى فى ذهنه تلك الأشكال كما يعى الألفاظ ، ويربطها ربطا وثيقا بالألفاظ الدالة على مناظر أو أشكال شبيهة بها .

فصغر الشكل يدعو إلى الذهن الألفاظ التى تدل على صغر الحجم ، وتركب الشكل أو تعقده يوحى بالألفاظ الدالة على الجمع أو الكثرة .

وللغات فى هذه الظاهرة حال تبعث على العجب والدهشة . فإذا تصادف أن ألفاظ اللغة التى تدل على صغر الحجم تشتمل فى مجموعها على صوت معين ، نرى أن المرء قد يستوحى لدى رؤية شكل صغير لفظا مشابها لتلك الألفاظ ، ومشتملا أيضا على ذلك الصوت المعين .

وقد دلت الملاحظة على أن « الكسرة » وما يتفرع منها كـ « ياء المد » تكون عنصراً أساسيا فى كل الألفاظ الدالة على صغر الحجم .

ولا تقتصر هذه الملاحظة على اللغة العربية ، بل لوحظت أيضا فى بعض اللغات الأخرى . ولا غرابة إذن أن يقال : إن الأشكال توحى

بألفاظ معينة ، أو تجعل الرائى يؤثر لفظا على لفظ ، ويستتبع هذا أنها تدخل فى استيحاء الدلالات .

وقد قمنا بعدة تجارب اتضح لنا منها أن الكسرة أو ياء المد توحى بصغر الحجم ، وأن حروف التفخيم توحى بضخامة الحجم ، وأن الشكل المتعدد الأطراف أو الأجزاء قد يوحى بفكرة الجمع ، وهكذا

وبدأنا تلك التجارب بعرض شكلين خياليين لا يمثلان فى الحقيقة شيئا ، ولا فرق بينهما سوى أن أحدهما كبير الحجم والآخر صغيره مثل :

ثم طلبنا من مجموعة كبيرة من الطلبة أن يتخيروا أحد اللفظين المرتجلين (زليع ، زلوع) للشكل الأول ، وأن يتخيروا اللفظ الآخر للشكل الثانى . ووجدنا أن نحو ٩٠ ٪ من الطلبة اختاروا لفظ « زليع » للشكل الصغير . ولا تختلف هذه اللفظة عن الأخرى إلا فى أنها تشتمل على « ياء المد » ، فى حين أن الأخرى تشتمل على « واو المد » ، مما يؤكد تلك الملاحظات التى أبداها بعض العلماء من ارتباط الكسرة وياء المد بصغر الحجم وضيق الوقت فى بعض اللغات (١) .

شكل " ١ "

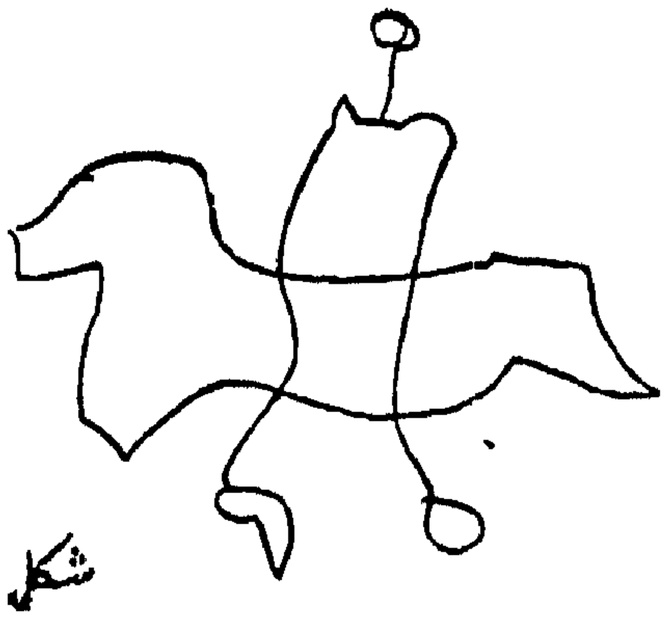

شكل " ٢ "

(١) جسبرسن صفحة ٤٠٢

Language, its nature, development origin.

ثم عرضنا شكلين آخرين يختلفان فقط فى الحجم ، وطلبنا اختيار أحد اللفظين المرتجلين (ستين ، سلينة) للشكل الأول ، واللفظ الآخر للشكل الثانى ، فوجدنا أن الكثرة الغالبة قد اختارت لفظ « سلينة » للحجم الصغير .

وهذا اللفظ يوحى بفكرة التأنيث . وترتبط هـــذه الفكرة بصغر الحجم والرقة وضعف الأنوثة . والشكلان هما :

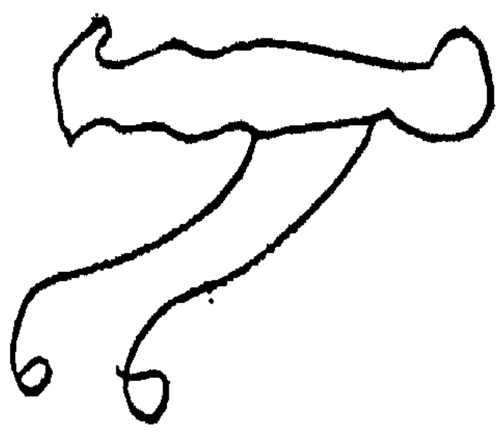

شكل "٣"

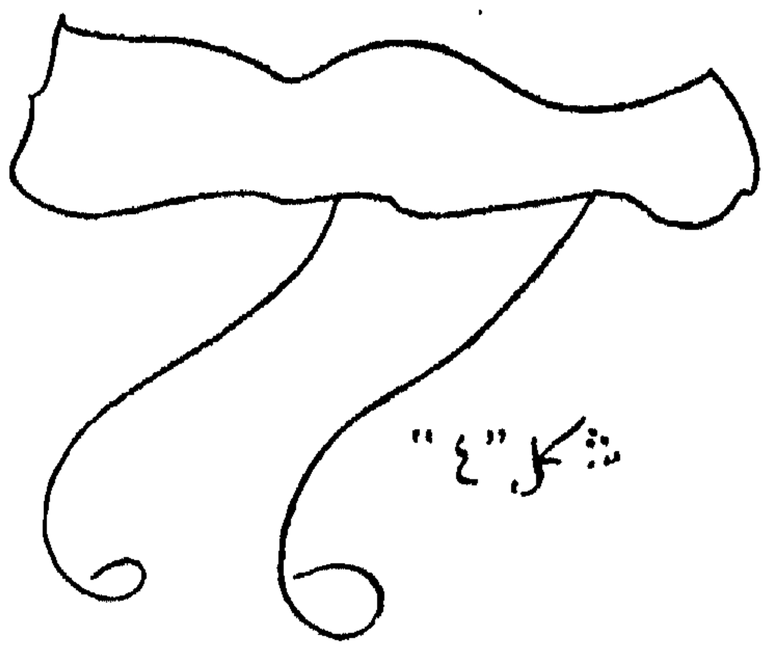

شكل "٤"

ثم عرضنا أشكالا أخرى لا تختلف إلا فى الحجم وعرضنا معها ألفاظا مرتجلة مثـــل (الظاقع ، الســالع) ، (الستيم ، الطقيـخ) فوجدنا أن الكثرة الغالبة كانوا يختارون

اللفظ المشتمل على حروف التفخيم كالقاف والطاء والظاء والخاء للشكل كبير الحجم .

ويقرر بعض الباحثين فى اللغات الحامية أنها - بوجه عام - تميز بين المذكر والمؤنث بإضافة حرف « الكاف » فى آخر المذكر ، وإضافة حرف « التاء » فى آخر المؤنث (١) .

وبالمقارنة بين الحرفين نرى أن « الكاف » حرف تفخيم نظيره المرقق هو « التاء » . أى أن فكرة ارتباط حروف التفخيم بالرجولة والقوة والضخامة ، وارتباط حروف الترقيق

(١) The Language families of Africa P. 91 by Werner.

بالأنوثة والضعف وصغر الحجم أمر غير مقصور على ألفاظنا العربية .

وعرضنا أشكالا أخرى مثل :

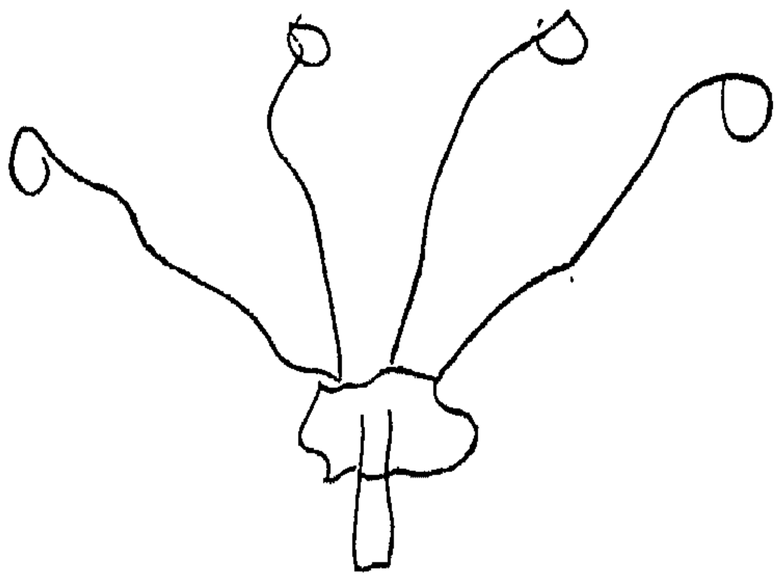

شكل "٥"

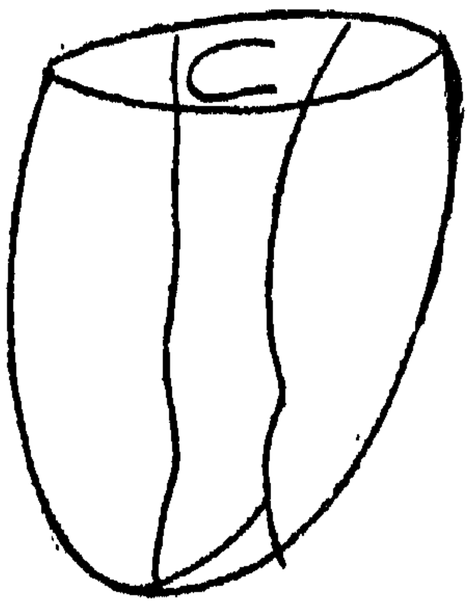

شكل « ٦ »

ومعها ألفاظ مرتجلة مثل (السفآن ، الأفناس) ، (الشواجن ، الشنغاف) ، ووجدنا أن الكثرة الغالبة كانوا يستوحون من الشكل الثانى فكرة الجمع أو الكثرة ويربطونه بما يوحى بتلك الفكرة من الألفاظ السابقة مثل (أفناس ، شواجن) ؛ فصيغة كل منهما تمثل صيغة مشهورة من صيغ جمع التكسير .

ومع اعترافنا بأن التجارب السابقة قد تمت فى نطاق ضيق نستطيع أن نتنبأ ـ ونحن مطمئنون ـ إلى أن إجراءها فى نطاق أوسع سيؤدى إلى نفس النتيجة أو ما يشبهها شبها كبيرا .

ونختتم هذا المقال بأن نشير إلى أن استيحاء الدلالة غير مقصور على حروف اللفظ وأصواته ، بل قد تتدخل الصيغة أو بنية اللفظ فى هذا الاستيحاء . فمجرد النطق بألفاظ مرتجلة مثل : « ستيم ، مطافع ، عفول » يوحى إلى الذهن أنها أوصاف أو أسماء ، فى حين أن صيغا أخرى مثل : « ملع ، بلهط ، يسافع ، انشكح » توحى إلى الذهن أنها أفعال ؟